في المنازل . ويجب غسل عيني المصاب بمحلول البوريك ، ويجب عليه ان يغسل فمه وحنجرته بمحلول البوريك ايضا بصفة غرغرة واعطائه شرابا باردا يشربه واحمامات الدافئة تساعد المريض في اول ظهور العرض لانها تخفف آلام الجلد

ونحسن انارة الغرفة الراقد فيها المريض بمصابيح حمراء وكذلك تغطية نوافذها بورق أحمر . ولدى مراقبة هذه الامور نرى ان البثور المجوفة من وسطها تكون أخف وطأة وألما .

مصر — الدكتور ف . كازاكوف

تاريخ حريق كنيسة القيامة

في القدس الشريف

نشره الاستاذ المؤرخ عيسى اسكندر المعلوف (مؤلف تاريخ الأسر الشرقية العام)

بصدر وذيل وتعاليق

توطئة

ان المرحوم الخوري مخائيل بن متراكي بن ميخالاكي البرامكي كان جده هذا ايكونوموس الكرمي الاورشليمي نحو سنة ١٧٢٣ م وكان مصوراً للايقونات وعرفت اسرته باتقان التصوير اليدوي فولد من سلالته حفيده ميخائيل هذا المؤرخ المعروف في القدس الشريف موطن اسرته في أوائل القرن التاسع عشر للميلاد وتلقى العلوم فيها وسيم شماساً نحو سنة ١٨٢٢ م واتقن العربية واليونانية وبعض العلوم واقتنى خزانة كتب نفيسة نسخ بعضها بخطه الجميل وتصويره الرائع وكان البطاركة يعتمدون عليه في الترجمة والكتابة العربية ولذلك سامه البطريرك كيرلس الثاني كاهنا سنة ١٨٤٨ م ثم ايكونوموسا (أي أول الكهنة) وكان يشتغل بخدمة الرعية والبطاركة والقاء العظات والتأليف الى أن استأثرت به رحمة ربه في أوائل سنة ١٨٧٣م عن اناية

ومن نفائس مؤلفات هذا الأب (تاريخه) وهو بخط مؤلفه في ٥٠٣ صفحات

بالقطع الكبير النصفي يبحث فيه عن العهد القديم والجديد فاض في حوادثهما والتفاسير التاريخية والفلسفية والعلمية والعقلات والعجائب والامثال والنجارب في نحو ثلاثمائة صفحة وبقية الصفحات في تواريخ الازمنة والحوادث وبطاركة اورشليم وبطاركة القسطنطينية وحوادث الملوك والباباوات والاكتشافات وعمارة الديارات الفلسطينية وتاريخ بزنطية (القسطنطينية) وعلى الجملة ففي هذا التاريخ أخبار مفيدة وحوادث عديدة بلغته العامية وقد وصفته ممطولا وترجمتُ مؤلفه في مجلة النعمة (٣ : ٣٦٦) وانتخبت الآن منه مقالة في حريق كنيسة القيامة انقلها بالحرف للوقوف على تفاصيل عرفها المؤرخ بنفسه وهي بحواش ذيلها بها زيادة في الفائدة

« في سنة ١٨٠٨ للنجسد الاقي في اخر ممالك السلطان سليم الثالث في مدة بطريركية الدائم الذكر على اورشليم المرحوم البطريرك بوليكاربوس وكان وقتئذ بطريرك على القسطنطينية الدائم الذكر كالينيكو الخامس ليلة الثلثاء من شهر ايلول الشرقي سنة ٢٢ الساعة الرابعة من أقليل كان (حريق القيامة المهول) على هذه الصورة

لما كان رهبان الروم واللاتين نياما في أوضهم [1] فانتبهوا واذ لهيب النار متعالي في محل الارمن فبادروا جميعهم لاجل أن يساعدوا الارمن على اطفاء النار فنعوهم المذكورين قائلين : لا يلزمنا مساعدة . وما زالت النار تشتد وتزداد لهيباً حتى امتدت في جميع القيامة كأتون بابل فحالا اضطرت الرهبان الموجودين ضمن القيامه بان يكسروا الشبابيك ويخرجوا من القيامة « لأن مفاتيح القيامة في زمان قسطنطينوس الملك كانوا مع الروم وبعدها استلموها الصلابيين [2] وطردوا الروم من القيامة وبقيت بيدهم لسنة ١١٨٧ لحين حضور عمر الخطاب [3] الخليفة وطردهم من القدس فسلم مفاتيح القيامة لبطريرك الروم صفرونيوس الاول ونظرا لحالة الرهبان في ذلك الوقت أصدر له أمر بان يأخذ اغفار [4] من كل الملل التي تأتي الى زيارة المحلات المقدسة من كل افرنجي غروش عد ١٤ يدخل أول مرة للقيامة ومن كل اوروبي ٧

(١) الاودة تركية بمعنى الغرفة (٢) يريد الصليبيين الافرنج (٣) في العبارة الاصابة اضطراب. فالذي أخذ القيامة من الصليبيين هو صلاح الدين الايوبي وقبله بزمان طويل كان عمر بن الخطاب كما لا يخفى (٤) الاغفار هنا (جمع غفر) وصوابها اغفار وهو رسم الدخول الى القيامة وزيارة القبر

ومن المصريين والاقباط ٣ وبقيت هذه العادة نحو سنة ٦٣٧ لحين حضور السلطان سليمان (١) الى القدس فاخذ مفاتيح القيامة من الروم وايد أوامر والده السلطان سليم واعطى الروم خطاً شريفاً بموجب منطوق امر والده الشريف وزاد عليه ثلثة اشياء وهي :

أولا ـ بان يكون بطريرك الروم متقدماً في الاحتفال يوم السبت العظيم بالنور وبقية الطوائف تكون تبعة (٢) له من دون ممانع ولا معارض

ثانياً ـ مما لزم للقيامة من عمارة وتصليح وغير اشياء يجري اصلاحها وترتيبها بطريرك الروم

وثالثاً ـ ان بطريرك الروم مأذون يضرب نواقيساً في القيامة وكنائسه جميعها ولا احد يتعارضه .

وسلم هذا الامر الى بطريرك الروم وكان لهذا السلطان محظية (٣) عزيزة عنده تدعى حرم خانم ارادت ان تبني من نفقتها بالقدس محل للفقراء وتسميه (زكية) (٤) فحالا صار القول فعلا وتعمرت (الزكية) ملاصقة (الزكية) التي عمرتها الملكة هيلانه ام قسطنطين الكبير كما توجد لغاية الان بخراب للغاية ورتب لها ايراد (٥) لاعالة الفقراء من مال المسيحيين

فاستلم مفاتيح القيامة من البطريرك عطالله العربي الجنس وسلمهم الى عائلتين اسلام من اهالي القدس انتخبهم عظمته فالعائلة الواحدة جعلها امناء للابواب والثانية امناء المفاتيح ولما كان يريدون بان يفتحوا الابواب عند الطلب يأتون امناء الابواب وامناء المفاتيح فيأخذ أمين الباب المفاتيح كون المفاتيح دائماً عنده ويفتح الباب . وكذلك عند الخروج ويسلمه المفاتيح وينصرفون وعين لهم معاش ومصروف (للزكية) (٦) ايضاً من الاغفار التي عينها من جميع المسيحيين الذين يحضرون لاجل الزيارة فمن زوار الافرنج على كل زائر يدخل الى القيامة اول مرة فقط بان يدفع

(١) هو السلطان سليمان القانوني المعروف والسنة ٦٣٧ هجرية سواها ٩٣٧ هجرية و ١٥٣٠ مسيحية (٢) اى تابعة له (٣) الجنية عند العامة فصيحها الحظية وهي السرية المكرمة عند السلطان (٤) والصواب (تكية) وهي ملجأ الفقراء والدراويش (في اصلاحات الثلاثة)
(٥) اى وقف ودخل (٦) هي التكية أيضاً كما مر

غروش عدد ١٤ ومن الارولم عدد ٧ ومن اي محل كان ومن الارمن عدد ٥ من اي محل كان ومن اولاد العرب عدد ٣ ما عدا الكرج والحبش لم كانوا يدفعون شيئا اصلا من حيث ان الاكراج ساعدوا الاسلام في حربهم مع الفرس واعانوهم بالمصاريف والحبش من حيث ان نهر النيل ينحدر من عندهم الى اراضي مصر . ولكي لايقطعوا اجراء نهر النيل عن اراضيهم سمحوا لهم بعدم تأدية الفنر عنهم كباقي المسيحيين ودام أخذ الاغفار ٢٩٨ سنة لغاية حكم ابراهيم باشا والي مصر على القدس (١)

(ثم عاد الى ذكر الحريق فقال) لان النار امتدت في جميع المحلات من عظم الاخشاب والزيوت والشمع والخمر وخلافه وتعالى اللهيب في الفضاء ما ينوف عن مائة ذراع وزاد اللهيب اضطرام النار جداً وكان لها صوت كبحر مضطرب بامواجه العجاجة وتعجيج(٢) الجو من الدخان الكثيف الذي كانت تسوقه الارياح محملا بالشرار الملتهب واضاءت المدينة وهرعت سكان اورشليم جميعهم من مسيحيين وغير مسيحيين حتي يطفوا النار فما استطاع احد ان يقترب الى باب القيامة لأن اللهيب امتد حتى باب القيامة الخارجي بعد أن التهم كنيسة نصف الدنيا وقبة الرصاص الكبيرة التي فوق القبر وقبة القبر ايضاً وانهدمت حنية هيكل نصف الدنيا مع العواميد(٣) الرخام الذين حول القبر منها من انكسر من نصفه ومنها من تحطم تحطيم (وبنوا عليهم عضايد وقت العمارة لاجل أن يقوى البناء) ودخلت النار الى داخل قبر يسوع المسيح واحرقت جميع ما كان فيه من قناديل ذهب وفضة ونحاس وقزاز ما عدا الباب الذي من خشب لم مسته النار اصلا (والباب المذكور يوجد لغاية تاريخه محفوظ في دير الروم) ولا كنيسة اللاتين ايضا لانها منحدرة بجانب القيامة لم وصلتها النار . والنهاية قد حصل ضرر عظيم وخسران جسيم لطائفة الروم الارثوذكس لان احترق كل مالهم بالقيامة من اواني كنائسية وحلل كهنوتية نفيسة وغير ذلك من كاسات ومباخر

(١) وكان الباء (الغفر) او الرسم على الزوار سنة ١٨٣٤ م اذ شهد ابراهيم باشا المصرى سبب التور بنفسه وعمل ازدحام شديد قتل فيه خلق كثير كما فصل البرامكي ذلك في فصل خاص بعنوان ٥ رفع الاغفار عن الزوار الذين يدخلون القيامة اول مرة ، وربما نشرنه في فرصة اخرى وقد حبس هنا بهذه الفقرات لمناسبة المقام . (٢) بمعنى امتلأ واختنق . (٣) تستعمل العامة العامود بالالف وتجمع على عواميد والصواب عمود اعمدة

وقناديل وحجب وصلبان ومجوهرات الخ

ثم عند بزوغ الشمس حضروا الى سطح القيامة حضرة حكام المدينة القاضي والنائب والمفتي حسن افندي والنقيب والافندية والاوجه جميعها واقاموا ثلثة خيام واستقاموا ثلثة ايام لاجل المراقبة . والطوائف المسيحية يشتغلون في تنزيل الاتربة والحجارة كل طائفة في محلها وفيما الارمن تعزل محلها انوجد تحت الردم قندلفتهم(١) مطمور تحت الحجارة والاتربة . وبعد انتهاء التنظيف جرت المراقمة والمحاكمة فيما بين الثلثة طوايف بحضور الحكام ورؤساء الاديرة والتراجمة وكان وكلاء الارثوذكس ميصائيل مطران النور واثيموس وكيل البطريرك (لان غبطة البطريرك كان بالاستانة وبطاركة أورشليم عادة كانوا دائما يستقيمون بالاستانة فالغى هذه العادة غبطة البطريرك كيرلس الثاني الصميوني المكنى بابا الذهب(٢))وجراسيموس الارشمندريت الافندولي والشماس دانيل كاتب الدير والراهب المسيح افركيوس ترجمان الدير فثبت ان الارمن هم الذين حرقوا القيامة عمدا والشاهد على ذلك وجود جثة قندلفتهم تحت الردم وليس ذلك فقط بل انما كانوا متفقين مع رجل ارمني يدعى منول بك من رجال الدولة بان يحرقوا بالقيامة فقط محلهم حتى يعمروه هم حسبما يرغبون فتغيرت بوقتها السياسة بموت السلطان سليم وتملك سعادة السلطان محمود الثاني فخاب املهم وتغيرت الاحوال معهم

ثم تحولت الدعوى في القدس للاستانة فخالا المرحوم البطريرك بوليكاربوس والبطريرك المسكوني واوجه طائفة الروم بالقسطنطينية أخذوا من سعادة السلطان محمود أوامر صارمة بتعمير القيامة وحدهم كما كانت من قبل الحريق لا زيادة ولا نقصان وعين من طرف سعادته مباشر رجل شريف الحسب والنسب يدعى عبد الرحمن أفندي وارسل غبطة البطريرك بوليكاربوس من مهندسين الدولة العلية مهندس من طائفة الروم رجلا ارثوذكسيا يدعى كنيوس من مدلين وأصحب معه معلمين نجارين وبنائين وحجارين وكامل آلات البناء وتوجهوا جميعا الى اورشليم وكان وصولهم

(١) القندلفت خادم الكنيسة الذى يثير الشموع ويقوم بالواجبات اللازمة عند التقديس يونانية (٢) ثانيا (المكنى بابى الذهب)

في غرة شهر ايار سنة ١٨٠٩

فحالا لما بلغ ذلك الارمن واللاتين اخذوا يلقون الفساد ويهيجون بعض الاسلام ويرشوهم حتى انهم يوقفوا الشغل ولما طلب المباشر والمهندس من أهل الحكومة بان يبتدوا بالعمارة فمنعهم القاضي والافندية بان يتأخروا مقدار شهرين كي يجلبوا من الباب العالي امر لاجل ان يعمروا الارمن واللاتين محلاتهم بالقيامة فتوقف الشغل نحو مدة شهرين . واذا بامر ثاني قد صدر من جلالة السلطان محمود بالتهديد والقصاص الصارم الى اولياء الامور (الحكام) والاسلام والى كل من يتعارض الروم عن تعمير القيامة . فحالا الروم شرعوا بالتعمير وفي اثناء ذلك حضر تحرير من الاستانة الى دير الارمن وبه يخبروهم عن الاتعاب في المراقعة والحيل وصرف المصاري [1] الباهظة كلها ذهبت سدى وما صار لهم نفع اصلا ولا يوجد امل ايضا بالحصول على المرغوب انما كان يمكنكم بطرفكم توقفوا الشغل بأي طريقة كانت بالرشوة او بخلافه الى مدة لربما تحصلوا على المرغوب فحالا الارمن شرعوا بالحيل والخداع ويدفع المصاري الباهظة الى الحكام والاسلام في القدس حتى انهم وفقوا لهم من الاسلام الزربادات [2] سنة وثلاثين شخص الذين أعوهم بالعطايا والمصاري والمذكورين عملة جملة مظاهرات وطوشات [3] وهيصات متنوعة فما امكنهم بان يوقفوا الشغل

ففي ١٧ كانون الاول في السنة ذاتها هاجوا المسلمين المذكورين آنفاً ودخلوا القيامة بالسلاح الكامل وخيروا المعلمين ودشروهم [4] من القيامة وشقوا شملهم وقتلوا واحد من المعلمين الحجارة نضولي من قيصرية يسمى الحاج غنزليل فصعدوا الاسلام من عن الصقايل [5] المنصوبة ودخلوا الى دير الروم الكبير من خرق الحنية فلما بلغ

(البقية تأتي في العدد القادم)

---

(١) تستعمل العامة في فلسطين وسورية كلمة (مصاري) جمع مصرية للدلالة على النقود من باب تسمية الكل باسم الجزء والمراد بها الدراهم) و (النقود) وكذلك يستعملون (العملة) بهذا المعنى (٢) الزربادي وجمعه (زربادات) هو الذي يعني الحكومة ويتمرد عليها

(٣) الطوشات بمعنى المشاوشات والهيصات بمعنى الهياجات ٤ دشر عامية بمعنى ترك وهنا بمعنى طرد (٥) الصقالات ايطالية بمعنى السلالم